على هامش النقد

الشعر العربى والشعر العالمى
في عرائس وشياطين
للأستاذ سيد قطب

فى كلمتى الماضية عن هذا الموضوع قلت : « بمقدار الغنى فى الأفكار والمعانى الذى تضمنه الشعر العربى ، كان الفقر فى الرؤى والأحلام ، وفى الصور والظلال . وفى الحالات النفسية والملامح الإنسانية . وهذا هو مفرق الطريق بين الشعر العربى وكثير من الشعر العالمى فى مجموعة « العرائس والشياطين » وضربت لذلك مثلاً قطعة : « إلى السوق أول مرة » للشاعر الإنجليزى الحديث « هوسمان »

فاليوم أضرب أمثلة أخرى تشرح هذه الفوارق وتوضحها .

فى المجموعة قطعتان متقاربتا الموضوع ، فاستعراضهما معاً قد يكون أقرب إلى توضيح الفروق

فأما القطعة الأولى ، فهى لابن زهر الأندلسى بعنوان : « فى المرآة »

إنى نظرت إلى المرآة أسألها ... فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا

رأيت فيها شيخاً لست أعرفه ... وكنت أعهد فيها قبل ذاك فتى

فقلت : أين الذى بالأمس كان هنا

متى ترحل من هذا المكان متى ؟

فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت

قد كان ذاك ، وهذا بعد ذاك أتى

وهى أبيات جيدة فى موضوعها ، ولفتة لها قيمتها ، ووقفة بين صورتين من صور الحياة أجمل ما فيها أن إحدى الصورتين تنكر الأخرى وهي تكملها . وذلك أقصى ما نستطيع أن نسنده إليها من المزايا مع الاعتراف بأننا نضيف إليها من أنفسنا بعض ما قد تقصر عنه ألفاظها !

ولكنها ـ مع هذا ـ وقفت عند الحس لا تتعداه إلى أغوار النفس . فهذا شاعر لا يدرك الفرق بين الفتى الذى كانه والشيخ الذى صاره ، إلا حين يقف على المرآة ، فيرى تغير الملامح وتنكر السمات ـ وهذه أمور مردها إلى الحس ـ فإذا علم بهذا الانقلاب الظاهرى لم يتجاوزه إلى التفتيش فى أحناء النفس عما هنالك من انقلابات . ولم تثر فى نفسه أشتات الذكر ، وألوان الخواطر التى تعتلج فى نفس « الإنسان » ، وترد على الخاطر ولو لم ينظر فى المرآة !

ولا أحب أن أنكر جمال اللفتة فى قوله : (متى ترحل من هذا المكان متى ؟) فإنه نبضة « إنسانية » لها قيمتها ، ولكنها نبضة واحدة ، تكاد تلتقى بومضات الذهن ، ولفتات الفكر

وهل أشق على التلميذ من فراق الإخوان ، وهل أحب إليه من العودة بعد الأجازات لرؤية الإخوان !

* * *

قد تمر الفترات يكره فيها البعض مدرسته ، يرجو هدمها ويتمنى حرقها !! ولكنه لا يدرى أنه يحبها . . . ويحب العودة إليها ، يلعب كما كان يلعب ، ويعيش كما كان يعيش ، لا يحمل العبء الذى يحمل ، لا هرباً منه ، إذ ليس منه مفر ، وإنما حباً وحنيناً إلى تلك التى كان يظن أنه لا يهواها ، وما هو إلا العاشق الولهان ، غيور . . . يثور ويثور . ثم يثوب ويثوب ، يعيده حبه وغرامه إلى حبيبه ومحبوبه

* * *

أليست هى ألطف العهود وأقساها ، وأنها فى الحالين ما أحلاها ... بل إن شدتها التى كان المرء ـ وهو صغير ـ يخشاها ، ما هى إلا تلك الراحة التى ـ وهو كبير ـ دوماً يتمناها ؟ وإن راحتها التى كان يظنها خيالاً ، ما هى إلا الحقيقة التى يود لو أنه استطاع فاستبقاها ؟!

* * *

لَعبٌ مع تلقين ، وجهد في تهوين ، وشدة فى لين ، وشك إلى يقين ، وحياة فى تكوين ، ونمو فى تمكين ـ ذكرى وحنين ، وعهد لن يمين

من عنده لى عهد لا يضيّعه ... كما له عهد صدق لا أضيّعه

راشد رستم

للصور المتناقضة ، وأيًا ما كانت ، فهى تنبض مرة واحدة ، ثم تجمد بلا حراك

على مقربة من هذه القطعة فى الكتاب قطعة أخرى للشاعرة الإنجليزية (أليس ميتل) تحت عنوان : « خطاب فتاة إلى العجوز التى ستكونها بعد سنين » وهى مقطوعة طويلة ، ولكننا سننقلها كاملة لأن الاجتزاء ببعض منها دون بعض لا يجدى . فهنا (إنسانة) تطل بشطر منها على شطر ، وتنظر بعين الفتاة الناضرة العابثة إلى العجوز المستكينة الفانية ، فلا تستطيع أن تتماسك أمام الصورة التى تستحضرها بعين الخيال ، فترثى لنفسها بنفسها . وتشتبك الأحاسيس والمشاعر ، وتظل رائحة جائية بين المستقبل الأعجف المظلم والحاضر النضر المنير وتعرض أمام خاطرها شريطاً حافلاً بالخواطر والأحاسيس . وهى بين ذلك كله (الإنسانة) و (المرأة) فى مخلوقة واحدة ، وهذه هى المقطوعة :

اسمعى ! أيتها المرأة التى أبلتها السنون
إذا طويت يدك الناحلة على هذا القرطاس
فاذكرى تلك التى باركته بلمساتها وقبلاتها

* * *

أناديك : يا أماه ؛ فإن أثقال السنين كسرتك
بل أناديك : يا بنتاه ؛ فإن ذكرى الزمن أيقظتك
ومن أطوار قلبى . يخلق الزمن كل ما فيك

* * *

آه أيتها السائمة المكدودة . إن الصبيحة فى السماء لشمطاء
أفلا تذكرين السحب كيف تساق ؟
أترينها كانت تهدأ عند المغيب ؟

* * *

تمهلى هنيهة فى ختام مطافك الطويل
فإن فى هذه الساعة الموحشة
لألفة لساعة التدبر والتذكار

* * *

يؤلمك أيتها الصامتة الخافقة تذكيرى إياك
بتلك الهضاب ـ هضاب الشباب ـ التى عصفت عليها السماء
وتلك الأعاصير الأوابد من القوة والعافية ، التى خلفتها وراءك
اعلمى أن البطحاء الموحشة التى تدرجين فيها الآن
إنما هى دنيا مساء صموت

وتأملى فى تلك القمم المغشاة . إنها تسفر عن صباح

* * *

اسمعى ... هاتيك رياح الجبل تهب بالغيوث
وهاتيك القمم على حين غرة تتألق بالشعاع
حاشاى أن أدعك تذهبين ـ ناسية ـ إلى الموت

* * *

ليتنى أعلم أى جانب من قلبى هذا المضطرم سيتبعك
إلى حيث الرياح لا تعصف ولا تتهزم
وحيث أزهار الجبال الصبية لا تعيش ولا تجود

* * *

ولكن دعى خطابى وفيه ما فيه من خواطرك المفقودة
ينبئك كيف كانت الطريق فى بداية الطريق
ويصحبك إلى الغاية ، حين إلى الغاية تنتهين

* * *

آه . رب ساعة من ساعاتك تقودك فيها خواطرى
فما تشعرين إلا والرياح من وطنك القديم تحوم حواليك
وإن أخفاك عنها الزمن والظلام والسكوت

* * *

تقول لك : كم جاشت بالفتاة هذه الذكريات
وكم رانت على الصباح ظلمات هذه الظلال
وكم خيم عليها هذا الحزن الذى تفارقينه بقلب حزين

* * *

وبعد . فمالى أقفوك بخواطرى هذه ليت شعرى ؟
إن الحياة تتبدل ، وإنك مع الأيام تتبدلين
فيأيتها الطبيعة التى لا تتبدل . ليتك تردين إليها فؤادى الضليل

* * *

ستعود إلينا نسماتها بقبلاتها
وستسرى إلينا فى المساء كأنها قبلة فى الصباح
وسينفث الصيف نعمته التى لا يغيرها الزمان

* * *

ونحن وقد تبدلت لنا لمحة بعد لمحة ، ونسمات بعد نسمات
تتعقب إحدانا الأخرى فى شتى المسارب والدروب
على نفحات الطفولة الخالدة التى تتأرج بها الرياحين أطفال الخلود

* * *

وما أكتب إليك هذا الخطاب المستطلع الناظر إلى الغيوب
لأموّه لك الذبول بإكليل من المجد والفخار
وأحف هذا الذّواء بشارات النصر والنجاح

* * *

كلا ! إنما هو شباب واحد وينطوى من الحياة الضياء
إنما هو صباح واحد ويُغشى النهارَ السحابُ
إنما هى شيخوخة واحدة تتلاقى فيها الأشجان والهموم ،
جموعاً وراء جموع

* * *

صه يا لسانى ، إن كلماتى أسالت عبرات عينيك
صه صه . فما أغزر ينبوع الدموع
يا للجفون البائسات . ما أسرع ما تبكي وهى قريبة إلى الرقاد !

* * *

عذراً للفتاة ! لقد وسوست لها نزوة من غرائب نزوات الشباب
أيتها المرأة البائسة ! ألق من يدك هذا الخطاب
إنه حطم قلبك فانسى أننى كتبته إليك

* * *

إن التى كانت تنظر منك إلى ذلك المحيّا
هى الآن تلمس براحة البنوة شعرك المشتعل
وتبارك هذا الشفق الحزين بدموع الصباح

* * *

هذه هى المسارب النفسية التى سارت فيها خطرات تلك الفتاة ، وتلك هى المسالك والدروب المتعرجة الطويلة . وهى (إنسانة وامرأة) حين تحس بخطوات الزمن هذا الإحساس ، وحين تزج بخيالها إلى المرهوب من شيخوختها — وهى فى حمّى منها بفورة الشباب الحاضر — ومع ذلك تفزع وتضطرب فتلجأ إلى خيال الذكريات التى ستعتادها فى الشيخوخة المرتقبة ذكريات الشباب التى (ستسرى إلينا فى المساء كأنها قبلة الصباح) فإذا هدأ روعها وتماسكت عادت تواجه (العجوز التى ستكونها) بالحقيقة الأليمة (إنما هو شباب واحد وينطوى من الحياة الضياء) . شباب واحد والمرأة أحس ما تكون بوحدانية هذا الشباب ! .

وإننا لنمضى فى تتبع هذه الخطرات النفسية فى نفس هذه (الإنسانة) فلا نبلغ مداها ، بأيسر ولا أوضح مما بلغته بألفاظها ، فلا ضرورة إذن للشرح والبيان

هنا فيض إنسانى من الخوالج والخواطر والأحاسيس ، قلما تعثر فيها على (معنى) بارز ، أو فكرة مبلورة ، أو حكمة سائرة . ولكنك لا تخطئ فيها وجه الإنسان وانفعالاته وخطراته ، تتماوج وتتداخل ، وتضطرب وتختلج وتسمع فيها حركة الحياة وتلمح فيها ظلالها من وراء الألفاظ والتعبيرات

ذلك شعر . وشعر كله . وشعر يحسن أن نتأثره لا مقلدين ولكن مستفيدين . ففى نفوس الكثيرين منا ينابيع طليقة ، تحبسها الطرائق التقليدية للشعر العربى فى التعبير . وإن كانت المسألة فى صميمها أكبر من الألفاظ وأوسع من التعبير .

سيد قطب

عبد الوهاب عزام

صفحات من البيان الممتع سجل فيها الدكتور عبد الوهاب عزام ما رآه وما أوحت إليه أسفاره فى البلاد العربية والإسلامية : (الحجاز ، والشام ، والعراق ، وتركيا وإيران) ، وفى أوربا . مع نبذ من تاريخ هذه البلاد ، وطرف من عواطفه العربية والإسلامية . وجعله فى أسلوب بليغ سهل ، يفيد ناشئة الأدب ، ويجدى على المتأدبين

ويقع الكتاب فى ٤٠٠ صفحة تتضمن كثيراً من الصور — ثمنه ٢٥ خمسة وعشرون قرشاً صاغاً — عدا أجرة البريد

يطلب من مجلة الرسالة